

إيران وتُركيًّا خَرَجَتَا الرَّابِحَ الأَكْبَرَ مِن جَرِيْمَةِ اغْتِيَالِ الخَاشِقِجِيِّ..
والاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط مُنذِيَّتْ بِذَكَسَّةٍ يَصْعُوبِ تَقْلِيصُ
خَسَائِرِهَا..



هَلْ الهُدنة في اليَمَن ودَعوة أمير قطر لحُضورِ القِمةِ الخَلِيجِيَّةِ الشَّهَرِ المُقْبِلِ في
الرَّيَاضِ بِرِدايةٍ تُتَغَيَّرُ سَعُودِيًّا جَذْرِيًّا؟ إِيكُم بِعَعضِ الإِجاباتِ
عبد الباري عطوان

بِمَقاييسِ الرَّبِحِ والخَسارةِ، يُمكنُ القَوْلُ وبَعْدَ مُرورِ شَهْرٍ ونِصفِ الشَّهْرِ على عَمليَّةِ اغْتِيَالِ
الصَّحَافِيِّ السَعُودِيِّ جمالِ خَاشِقِجِيِّ وتَقطِيعِ جَسَدِهِ وإِذابَتِهِ بِالأسيدِ في فُنْصليَّةِ بلادِهِ في
إِسطنبولِ، أَنَّ الخَاصِمِينَ الإِقليمِيِّينَ اللَّادُودِينَ لِلْمَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السَعُودِيَّةِ، إِيْرانَ وَتُرْكِيَا،
خَرَجَا الرَّابِحَ الأَكْبَرَ، وَفِي المُقَابِلِ جَاءَتِ الاستِراتيجِيَّةُ الأَمْرِيكِيَّةُ في الشَّرْقِ الأَوْسَطِ الَّتِي
تَعْتَبِرُ الأَمِيرَ مُحَمَّدَ بنِ سَلْمَانَ الَّذِي تَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَصَابِعُ الاتِّهَامِ بِالوُقُوفِ خَلْفِ العَمليَّةِ
الاجرامِيَّةِ هَذِهِ هِيَ الخاسِرَ الأَكْبَرَ، إِنْ لَمْ تَكُنْ قَدِ انْهَارَتِ بِالْفِعْلِ.
كَانَ لافِتًا أَنَّ إِيْرانَ الَّتِي مِنَ المُفْتَرَضِ أَنْ تَكُونَ الهَدَفَ الأَكْبَرَ لِهَذِهِ الاستِراتيجِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ،
الَّتِي يَقومُ جَوهرُها على فَرضِ حِمَارٍ تَجْوِيعِيٍّ عَلَيْها مُقَدِّمَةً لثَوْرَةٍ دَاخلِيَّةٍ، أَوْ
عُدوانِ أَمْرِيكِيٍّ إِسْرَائِيلِيٍّ عَرَبِيٍّ، تَقودانِ لِتَغْيِيرِ النِّظامِ فِيها، التَزَمَتِ الصَّامِتِ
المُطَبِّقِ مُنذُ أَنْ بَدَأَتِ الأَزَمَةُ، وَوَقَفَتِ مَوْقِفَ المُتَفَرِّجِ، وَأَبْدَتِ تَعاطُفًا "مَلْغومًا" مع
السُّلطاتِ السَعُودِيَّةِ، فِي انعكاسِ يَصْعُوبِ إِخفاؤِهِ لِلدَّهَاءِ الإِيْرانِيِّ فِي أَوْصَاحِ صُورِهِ، حَتَّى
أَنَّ هَذَا الصَّامِتَ حَظِيَّ بِإِعْجابِ بَعْضِ الكُتَّابِ السَّعُودِيِّينَ.

عملية اغتيال الخاشقجي، وتفاصيلها البشعة جاءت في وقتٍ كانت تسعى فيه إدارة ترامب إلى تشكيل تحالفٍ عربيٍّ سُنيٍّ، تقوده السعودية، يضمُّ دول الخليج الست إلى جانب مصر والأردن، وقيل ثلاثة أيامٍ فقط من بدء الحصار الخانق على إيران الأمر الذي أدّى إلى إجهاض هذه الخُطوة الاستراتيجية وهي في مهدها.

المملكة العربية السعودية باتت تعيش حالةً من الضعف غير مسبوقه حاليًا على المستويين الإقليمي والدولي، انعكس في موافقتها السريعة على القبول بهُدنةٍ لوقف الحرب في الحديدة ودعم الجهود الدولية لإعادة الحياة إلى العملية السياسية للوصول إلى تسويةٍ للأزمة اليمنية استجابةً لضغوطٍ أمريكيةٍ صريحةٍ، ووفق شروطٍ لا يمكن لها أن تقبل بها في الظروف العادية، وقبل عملية الاغتيال تحديداً.

والأخطر من إنهاء الحرب في اليمن هو احتمال أن تضطر القيادة السعودية، وبضغوطٍ أمريكيةٍ أيضاً، إلى إنهاء المقاطعة لدولة قطر، خصمها الإقليمي الذي يتقدّم على إيران في لائحة أعدائها، ولا نستبعد أن يكون تنازل سلطنة عُمان المفاجئ عن حقها في استضافة قمة مجلس التعاون الخليجي المقررة الشهر المقبل لصالح الرياض، ربّما جاء بترتيبٍ مُسبقٍ لتهيئة الأجواء لمصالحةٍ قطريةٍ سعوديةٍ، لأنّ الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، أمير دول قطر، تلقى دعوةً رسميةً سعوديةً، وأكد حضوره القيمة، وتوارد أنباء من مصادرٍ خليجيةٍ عديدهٍ عن إحياء الكويت لوساطتها مُجدداً.

السعودية التي خرجت مُنهكةً من أزمتها الرئيسية الحالية (اغتيال خاشقجي.. وحرب اليمن، ومقاطعة قطر، واحتواء نفوذ إيران) لن تكون في وضعٍ يؤهلها لقيادة التحالف العربيّ السُنيّ، ومواجهة إيران وقصّة نفوذها وأدوارها السياسية والعسكرية في المنطقة، (سورية، العراق، فلسطين، ولبنان) في المستقبل المنظور على الأقل.

الإيرانيون في المقابل أداروا الهجمة الأمريكية الإسرائيلية التي تسببتهد فهم سياسياً واقتصادياً حتى الآن بذكاءٍ لافتٍ، انعكس في إقامة تحالفٍ استراتيجيٍّ مُضادٍ للناطو العربيّ السُنيّ، يضمُّ الصين وروسيا والهند وتركيا، علاوةً على كوريا الشمالية، وبرد رجةٍ أقل أوروبا، وتوظيف العقوبات الأمريكية لخلق جبهةٍ داخليةٍ مؤجّدةٍ تضمّ الجناحين المحافظ والليبرالي على أرضية الدِّفاع عن إيران الوطن، وليس إيران النظام فقط. النفط الإيراني يتدفق بغزارةٍ إلى أسواقه الطّبيعية في الصين والهند وتركيا واليابان وأوروبا، ومُنظمة "أوبك" تُخطّط لتخفيض إنتاجها بحوالي 500 ألف برميلٍ يوميًا للحفاظ على الأسعار مُرتفعةً، الأمر الذي يتعارض كُلياً مع كلّ مطالب ترامب في تخفيضها حفاظاً على استمرار ازدهار اقتصاد بلاده والغرب عموماً.

الأزمة الماسكوت عنها التي تواجها المملكة العربية السعودية هي تلك المتعلقة بعلاقاتها "المتوترة" مع شريكها الأساسي في حرب اليمن، وجبهة المقاطعة لدولة قطر، والحرب ضد إيران، أي دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد أكدت لنا ثلاثة مصادر عربية تفاقم هذه الأزمة في الأسابيع الأخيرة، حيث باتت الأخيرة تُدرِك أنها تورطت في أزمتين باتتا تُهددان وحدتها الترابية الداخلية أوّلاً، وسُمعتها الدولية ثانياً، وتحملها أعباءً ماليةً وعسكريةً ضخمةً ثالثاً، وهي حرب اليمن واغتيال الخاشقجي، وعلى صعيد الأخيرة أعلنت الحكومة التركية "حرب تسريبات" مفاجئة ضد دولة الإمارات عندما اتهمتها والنائب محمد دحلان، مُستشار الشيخ محمد بن زايد، بالتورط في هذه الجريمة وإرسال فريق من الخبراء تابع لها لإخفاء الأدلة ووصل فعلاً إلى إسطنبول قادماً من بيروت مُكلاًً بفأ بهذه المهمة، ونشرت هذه التسريبات صحيفة "يني شفق" القريبة جداً من الرئيس رجب طيب أردوغان، وتخصّصت في هذا الإطار، وثبتت صراحةً مُعظم التسريبات التي نشرتتها، أو كلها في هذه الجريمة.

صحيفة "نيويورك تايمز" التي تودت وللمرة الأولى في تاريخها مع غريماتها "الواشنطن بوست" في العداء للسعودية، وتوجيه الاتهام للأمير بن سلمان بإصدار الأوامر باغتيال الخاشقجي قالت في ختام تحليل لها قبل ثلاثة أيام أنها، أي المملكة، باتت في نظرم مُعظم الشعوب العربية أنها أكثر خطورةً من إيران بعد الاطّلاع على التفاصيل البشعة لقتل خاشقجي، وباتت العديد من الصحف العربية خاصةً في دول الاتحاد المغربي تنشر دعوات ومقالات تُطالب بمقاطعة موسم الحج، وزيارة الحرمين الشريفين، لا نعتقد أن أزمة اغتيال الخاشقجي، وتبعاتها السياسية والإعلامية ستختفي من صدر نشرات الأخبار وعناوين الصحف الرئيسية، تقليدياً كانت أم رقميةً، كما أننا نجزم أيضاً بأنّ شن حملات تُطالب السُّيَّاح السعوديين بمقاطعة تركيا، أو تكثيف الهجمات على مُنتقدي المملكة وسياساتها، على وسائل التواصل الاجتماعي هو الرّد الأنجع، لأنّ الحل هو في نظرننا يُمكن في حتمية إجراء مُراجعة على أعلى المستويات لكُل السياسات التي أوصلت المملكة إلى هذا الوضع غير المُريح الذي تَعيشه حالياً، ابتداءً من "جريمة القرن"، أي مقتل خاشقجي، وطريقة التعامل المُرتبكة مع تداعياتها، أو خوض الحرب في اليمن، أو تبني "صفقة القرن" لتصفية القضية الفلسطينية، واستدعاء سعد الحريري بطريقة مُهينة، وزيادة التطبيع السريّ مع إسرائيل، واستدعاء الشّارعين العربيّين والفلسطينيّين معاً، ولا نشكك مُطلقاً بأنّ هُناك عقلاء وحُكّماء، وخُبرات سعودية ووطنية عالية المستوى، سواء داخل الأسرة الحاكمة أو خارجها، يُمكن أن تُشارك في هذه

المراجعات المطلوبة بطرقٍ علميَّةٍ فاعلةٍ إذا ما تقررَّ الاستعانةُ بها.. فتَهميشُ هذه العُقولِ هُوَ أحدُ الأسبابِ الرئيسيَّةِ لتفاقمِ الأزماتِ وتَضخُّمِها، ووصولِ البلادِ إلى الوَضْعِ الحاليِّ.. وإِذْ أعلِّم.